أي درجة صحيحة كلمات عشرات المثقفين والأكاديميين الفلسطينيين في نداء من الأعماق جاء فيه (جاء استعمار فلسطين بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي بين مشرق الوطن العربي ومغربه ولقربها من الممر الرئيسي – قناة السويس – إلى مستعمرات أوروبا في جنوب شرق أسيا ولظهور بوادر اكتشاف الثروة النفطية في المشرق العربي، آنذاك، قررت تلك الدول اقتطاع وطننا وتحويله إلى قاعدة لها شكل استعمار استيطاني احلالي)[٢٢]. ونفس الورقة اقتبست عن سكرتير سابق للحلف الأطلسي (جوزيف لانز) أن إسرائيل كانت الجندي المرتزق الأقل كلفة في العصر الحديث بما يكشف ليس عن صريتها في إنكار الحقوق الفلسطينية بل كولونياليتها ووظيفتها الامبريالية أيضا.

هذا مفصل هام في الفكر السياسي للجبهة الشعبية أسوة بالتطهير العرقي وإحداثيات النكبة عام ١٩٤٨ وصولاً إلى حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم الأصلية وأملاكهم. فما حصل عام ١٩٤٨ موصولا بحق العودة والطابع الكولونيالي العنصري لإسرائيل كجسم غريب، عاملان مقرران في الفكر السياسي للجبهة الشعبية، تؤسس عليهما رؤيتها الإستراتيجية وتحالفاتها وافتراقاتها، بما أوجب على الرسالة تبيان ذلك بجلاء لا لبس فيه، من خلال عرض السياق التاريخي للقضية الفلسطينية، بل هذا هو المضمون الجوهري في برنامجها السياسي.

مصاعب الدراسة

رغم أن عنوان الرسالة في غاية الغنى (في التنظيم السري – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حزيران ٦٧ – أوسلو ٩٣ في الوطن المحتل نموذجاً) يمكن التعمُّل فيه وكتابة أكثر من رسالة دكتوراة، غير أن ثمة مصاعب رئيسة انتصبت في الطريق خليق ذكرها.

١) طابع الموضوع، فهو من السرية بمكان بحيث يشكل الوصول لوثائقه وإجراء مقابلات مع رموزه ودفعهم للبوح ببعض ما في جعبتهم أمراً لا يخلو من تعقيدات وجهد. بل إن الكثير من الصفحات يجري التكتم عليها، أو يتاح إفشاؤها بلغة رمزية وتكثيف شديد، اتصالا باعتبارات الأمن، كما أشار غير مرجع في السجون وخارجها وقد تم التقيد بهذه الرمزية على قاعدة أكبر فائدة «لنا» وأقل ضرر «علينا» تماشياً مع منظور لينين للمسألة حينما نشر كتاب «خطوة للأمام، خطوتان للوراء» عن مؤتمر حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا الملاحق من قِبَل القيصرية وقتذاك.

ولولا بعض الوثائق والمقابلات لتضاعفت هذه العقبة. ومن جانب آخر توجب المزيد من التدقيق في

---

٢٢) نداء من الأعماق، ورقة فلسطينية. أيلول/٢٠٠٨. ص٣٠